كلمة الحياة

تشرين الثاني/ نوفمبر 2024

"إنّها [أي الأرملة] مِن حاجَتِها أَلْقَت [في الخِزانة] جَميعَ ما تَملِك، كُلَّ رِزقِها" (مرقس 12، 44).

نحن في ختـام الفصـل 12 من إنجيـل مـرقس. يسـوع موجـود في الهيكـل، في أورشليم؛ يـراقب ويعلّم. من خلال نظرتِـه، نتأمَّل مشـهدًا مليئًا بالشخصـيّات: أنـاس يذهبون ويجيئون، خدّام العبادة، وُجهاء يرتدون ثيابًا طويلـة، أغنيـاء يُلقـون تقـدماتِهم السخيّة في خِزانة الهيكل.

وها إنّ أرملة تجيء؛ وهي تنتمي إلى فئة من الناس المحرومين اجتماعيًّا واقتصاديًّا. ووَسْطَ اللامبالاة العامّة، تُلقي في الخِزانة عُشَرَين أي فَلسًـا. وعلى عكس الجميـع، يلاحظُها يسوع ويدعو تلاميذَه إليه ويَشْرَع يعلّمهم:

"إنّها [أي الأرملة] مِن حاجَتِها أَلْقَت [في الخِزانة] جَميعَ ما تَملِك، كُلَّ رِزقِها"

"الحَـقَّ أَقـولُ لَكُم..." هـذه الكلمـات هي تمهيـد للتعـاليم المهمّـة؛ فنظـرة يسـوع المركّـزة على الأرملـة الفقـيرة تـدعونا إلى النظـر في الاتّجـاه نفسـه: إنّهـا نمـوذج التلميذ.

إيمانُها بمحبّة الله غير مشروط، وكنزُها هـو اللـه نفسـه. وإذ تُسـلِّم نفسَـها كلّيًّا لـه، ترغب أيضًا في أن تعطيَ كلَّ ما تستطيع من أجل الذين هم أشدُّ فقرًا. واستسلامُها هذا المليء بالثقة للآب هو، بطريقة ما، استباقٌ لبذلِ الـذات الـذي سـيحقّقُه يسـوع عمّا قريب بآلامِـه وموتِـه. إنّـه "فَقْـرُ الـروح" و "نقـاوةُ القلب" اللـذان أعلن عنهمـا يسوع وعاشهما.

وهـذا يعـني "أن نضـع ثقتَنـا لا في الـثروات، بـل في محبّـة اللـه وعنايتِـه. [...] نحن نكون’فقراء بالروح‘عندما نسمح للمحبّة تجاه الآخرين بـأن تقودَنـا. وعنـدها نشـارك المحتاجين ونضع في متناولِهم ما نملِك: ابتسامة، وقتَنا، ممتلكاتِنا، قـدراتِنا. وبعـد أن نعطيَ كلّ شيء، بدافع المحبّة، نكون فقراء، أي فارغين، ’لا شيء‘، أحـرارًا، وقلبُنـا نقيّ"[1].

إنّ اقتراح يسوع يقلِب عقليّتَنا؛ ففي مركز أفكارِه نجد الصغير، والفقير، والضعيف.

---

1 راجع كيارا لوبيك، كلمة حياة شهر تشرين الثاني/ نوفمبر 2003.

"إنّها [أي الأرملة] مِن حاجَتِها أَلْقَت [في الخِزانة] جَميعَ ما تَملِك، كُلَّ رِزقِها"

كلمة الحياة هذه تدعونا في الدرجة الأولى إلى أن نجدّدَ ثقتَنا الكاملة في محبّة اللــه ونقارن نظرتَنا بنظرتِه، لكي نرى أبعدَ من المظاهر، من دون أن نُـدِين ونعتمـد على حكم الآخرين؛ وإلى أن نُقدِّرَ ما هو إيجابيّ في كلّ إنسان.

إنّها تقترح علينا العطاءَ الكلّيّ كمنطقٍ إنجيليّ يبني مجتمعًا مسالمًا، لأنّـه يحثّنـا على الاهتمام بعضُنا ببعض. إنّهـا تشـجّعُنا على أن نعيشَ الإنجيـل في حياتِنـا اليوميّـة، من دون البحث عن الظهـور، وأن نعطيَ بسـعةٍ وثقـة، وأن نعيشَ بقناعـة ونشـارك بمـا لدينا. إنّها تدعونا إلى الالتفات بانتباه إلى الصغار، لنتعلّم منهم.

وُلد الشاب ’فينانت‘ وترعرع في بوروندي. يخبرنا قائلاً: "في القريـة، كـانت عـائلتي تستطيع أن تتباهى بمزرعتِها الجيّدة، التي تَدُرُّ محصولاً وفيرًا. وكانت أمّي مدركةً أنّ كلّ شيء هو بفضل عناية السماء، فكانت تجمـع الثمـار الأولى وتوزّعُهـا في الـوقت المناسب على الجيران، بَدءًا بالعائلات الأكثرِ حاجة، وتخصّص لنـا جـزءًا صـغيرًا ممّـا تبقّى. مِن مَثَلِها هذا تعلّمتُ قيمةَ العطاء المتجرِّد. وهكذا فهمتُ أنّ اللــه يطلب منّي أن أعطيَه الجزءَ الأفضل من حياتي، لا بل أن أعطيَه حياتي كلَّها".

إعــداد ليتيتسـيا مـاغري ولجنــة كلمــة الحياة